



قصة: يمام خرتش
رسوم: علياء علي

تَمَّ تَقْدِيمُ هَذَا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ



ALL
CHILDREN
READING:
A GRAND CHALLENGE
FOR DEVELOPMENT

لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيُصَدِّقَ بِأَنَّ نَوْراً، الْمَلِيَّةَ بِالنَّشَاطِ وَالْحَيَوِيَّةِ،
سَتُضْطَرُّ إِلَى الْمُكُوثِ فِي سَرِيرِهَا ثَلَاثَةَ أَسَابِيْعَ بِطَوْلِهَا.





"كُسِرَتْ ساقُها، وَسَتَحْتَاجُ إِلَى جَبِيرَةٍ، وَرَاحَةٍ طَوِيلَةٍ".

كَانَتْ كَلِمَاتُ الطَّبِيبِ تِلْكَ لَا تَقِلُّ قَسْوَةً وَأَلَمًا عَنِ الْكُسْرِ

بِالنِّسْبَةِ إِلَى نَوْرٍ؛ إِذْ كَيْفَ سَتَقْضِي كُلَّ هَذِهِ الْمُدَّةِ،

مُسْتَلْقِيَةً فِي الْفِرَاشِ؟!



انْقَضَتِ الْأَيَّامُ الْأُولَى وَكَانَ الشُّهُورُ، حَتَّى جَاءَ الْيَوْمُ الَّذِي انْقَلَبَتْ فِيهِ الْأُمُورُ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ.
زَارَتْهَا صَدِيقَةٌ لِأُمِّهَا، تَحْمِلُ بَاقَةَ زُهُورٍ، وَهَدِيَّةً أُنِيقَةً. أَلْقَتْ عَلَى نَوْرٍ كَلِمَاتٍ طَيِّبَةً وَلَمْ تُطِلِ الْمُكُوثَ.



"تُرى ماذا يَخْتَبِئُ تَحْتَ وَرَقِ التَّغْلِيفِ؟"، تَمْتَمَتْ نُورٌ وَهِيَ تَفْتَحُ الْهَدِيَّةَ:
"حَكَوَاتِي الْمَسَاءِ! إِسْمٌ جَمِيلٌ لِكِتَابٍ؛ أَتُرَاهُ سَيَكُونُ مُمِلًا أَمْ مُمْتَعًا؟".



لَمْ يَكُنِ الْكِتَابُ مُمْتَعًا فَحَسْبُ؛ بَلْ كَانَ سَاحِرًا بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ.
أَخَذَهَا إِلَى مُدُنٍ لَمْ تَزُرْهَا يَوْمًا، وَحَكَى لَهَا حِكَايَاتٍ عَنْ شُعُوبٍ مِنْ أَقْصَى الْعَالَمِ إِلَى أَدْنَاهُ.

إِنْقَضَتِ الْأَسَابِيعُ الثَّلَاثَةُ بِلَمَحِ الْبَصَرِ. نَظَرَتْ نَوْرٌ إِلَى اسْمِ الْكَاتِبِ،
وَقَالَتْ: "كَمْ هُوَ شَخْصٌ رَائِعٌ! كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَهُ؟".





إِبْتَسَمَتْ وَأَجَابَتْ عَلَى سُؤَالِهَا: "سَأَكْتُبُ لَهُ بِطَاقَةً شُكْرًا!". وَبِالْفِعْلِ، اخْتَارَتْ وَرَقَةً أُنِيقَةً،
وَحَطَّتْ فِيهَا كَلِمَاتٍ تُعَبِّرُ عَنْ مَدَى إِعْجَابِهَا بِالْكِتَابِ. دَسَّتِ الْوَرَقَةَ فِي الْكِتَابِ، ثُمَّ اسْتَسْلَمَتْ لِلنَّوْمِ.

قَفَزَتِ الْوَرَقَةُ، وَتَأَمَّلَتِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي كَتَبَتْهَا نُورٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَاحَتْ تَتَصَفَّحُ الْكِتَابَ: "آه، يَا لِلْأَسَى!",
شَهِقَتِ الْوَرَقَةُ وَهِيَ تَقْرَأُ أَنَّ الْكَاتِبَ تُوُفِّيَ مِنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَقَالَتْ:
"سَتَحْزَنُ نُورٌ كَثِيرًا إِذَا عَلِمَتْ بِأَنَّهَا لَنْ تَسْتَطِيعَ شُكْرَهُ. كَيْفَ لِي أَنْ أُسَاعِدَهَا؟".



فَكَرَّتِ الْوَرَقَةُ، وَفَكَّرَتْ: "أَمَمَمْ، مَاذَا لَوْ طَرْتُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ
عَكْسَ دَوْرَانِ الْأَرْضِ، هَلْ أَصِلُ إِلَى زَمَنِ، يَسْبِقُ زَمَانِي هُنَا يَا تُرَى؟".
لَمْ يَتِمَّا لَكَ كِتَابُ الْجُغْرَافِيَا فِي الْمَكْتَبَةِ نَفْسَهُ بَعْدَمَا سَمِعَ تَمْتَمَاتِ
الْوَرَقَةِ تِلْكَ، فَضَحِكَ حَتَّى وَقَعَ أَرْضًا.





ثُمَّ عَدَلَ جِلْسَتَهُ، وَقَالَ: "أَكْبَرُ فَرْقٍ بَيْنَ آخِرِ مَكَانٍ وَأَوَّلِ مَكَانٍ فِي كُرْتِنَا الْأَرْضِيَّةِ، هُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ،
أَيُّ أَرْبَعٍ وَعِشْرُونَ سَاعَةً فَقَطْ، وَأَنْتِ تُرِيدِينَ الْعَوْدَةَ عِشْرِينَ سَنَةً، أَيُّ عَقْدَيْنِ كَامِلَيْنِ!".

قَالَتِ الْوَرَقَةُ: "تَسْخَرُ مِنِّي إِذَنْ، أَلَا تَعْلَمُ أَنِّي أَوْدُ السَّفَرَ فِي مَهْمَةٍ نَبِيلَةٍ؟"، ثُمَّ أَطْرَقَتْ رَأْسَهَا وَأَرْدَفَتْ:
"يَا لَيْتَنِي أَطْوِي الزَّمْنَ، كَمَا نَطْوِي - نَحْنُ الْأَوْرَاقُ -". أَيْقَظَتِ الْجَلْبَتُ الَّتِي أَحَدَتْهَا كِتَابُ الْجُغْرَافِيَا كِتَابَ
الْفِيزِيَاءِ، الَّذِي لَبَسَ نَظَّارَتَهُ، وَقَالَ: "كَأَنِّي سَمِعْتُ أَحَدًا يُرِيدُ أَنْ يَطْوِيَ الزَّمْنَ!".



أَشَارَ كِتَابُ الْجُغْرَافِيَا إِلَى الْوَرَقَةِ، وَقَالَ يُغَالِبُ ضَحَكَتَهُ: "هَذِهِ الْمَسْكِينَةُ تَظُنُّ أَنَّ الْعَوْدَةَ سَنَوَاتٍ إِلَى الْوَرَاءِ مُمَكِّنَةٌ".
"الْعِلْمُ يَا صَدِيقِي يَجْعَلُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ مُمَكِّنَةً؛ أَعْطِنِي وَرَقَةً مِنْكَ وَسَأُشْرَحُ لَكَ مَا أَقْصِدُ"، قَالَ كِتَابُ الْفِيزِيَاءِ بِجِدِّيَّةٍ.



بَسَطَ الْكِتَابُ رَاحَتِيهِ عَلَى الْوَرَقَةِ وَقَالَ: "هَذِهِ الْوَرَقَةُ تُمَثِّلُ الْحَيَاةَ الَّتِي نَعِيشُهَا، فِيهَا الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ،
ثُمَّ رَسَمَ نُقْطَةً فِي يَمِينِ الْوَرَقَةِ، وَقَالَ: "فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ عَاشَ الْكَاتِبُ، وَرَسَمَ نُقْطَةً أُخْرَى فِي يَسَارِ الْوَرَقَةِ، وَتَابَعَ:
"فِي هَذِهِ النُّقْطَةِ تَعِيشُ نَوْرٌ".



"النُّقْطَةُ الَّتِي عَاشَ فِيهَا الْكَاتِبُ، لَا زَالَتْ مَوْجُودَةً؛ إِلَّا أَنَّنَا لَمْ نَعُدْ نُدْرِكُهَا، أَوْ نَرَاهَا". ثُمَّ ثَنَّى الْوَرَقَةَ، وَأَدْخَلَ الْقَلَمَ مِنَ النُّقْطَةِ الْيُسْرَى إِلَى الْيُمْنَى. وَابْتَسَمَ وَقَالَ: "أَرَأَيْتُمَا كَيْفَ انْتَقَلْنَا مِنْ مَكَانٍ نَوْرَ وَزَمَانِهَا، إِلَى مَكَانٍ الْكَاتِبِ وَزَمَانِهِ؟". ضَحِكَ كِتَابُ الْجُغْرَافِيَا مِنْ جَدِيدٍ، وَقَالَ: "لَكِنْ، كَيْفَ سَنَنْقُبُ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ لِنَصِلَ إِلَى الْكَاتِبِ؟ لَا تَقُلْ لِي بِالْقَلَمِ!".



تَأْمَلْ كِتَابُ الْفِزْيَاءِ السَّمَاءِ خَلْفَ النَّافِذَةِ لِحَظَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: "الْتُّقُوبُ مَوْجُودَةٌ أَصْلًا فِي الْفَضَاءِ؛ إِنَّهَا التُّقُوبُ السَّودَاءُ الَّتِي تَصْنَعُهَا
الْأَجْرَامُ السَّمَائِيَّةُ ذَاتُ الْجَازِبِيَّةِ الْكَبِيرَةِ. كُلُّ مَا عَلَيْكَ فِعْلُهُ هُوَ السَّفَرُ إِلَيْهَا بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ، وَعُبُورُهَا. وَعِنْدَهَا سَتَجِدِينَ نَفْسَكَ فِي
مَكَانٍ وَزَمَانٍ آخَرَيْنِ". وَقَبْلَ أَنْ تَنْطَلِقَ الْوَرَقَةُ...





سَمِعَ الْجَمِيعُ صَوْتًا عَمِيقًا مِنَ الْمَكْتَبَةِ، يَقُولُ: "وَمَاذَا إِنَّ عَبْرَتِ الثُّقْبِ الْأَسْوَدَ،
ثُمَّ وَجَدَتْ نَفْسَهَا عَلَى ظَهْرِ دَيْنَاوَرٍ؟". نَظَرَ الْجَمِيعُ إِلَى مَصْدَرِ الصَّوْتِ.



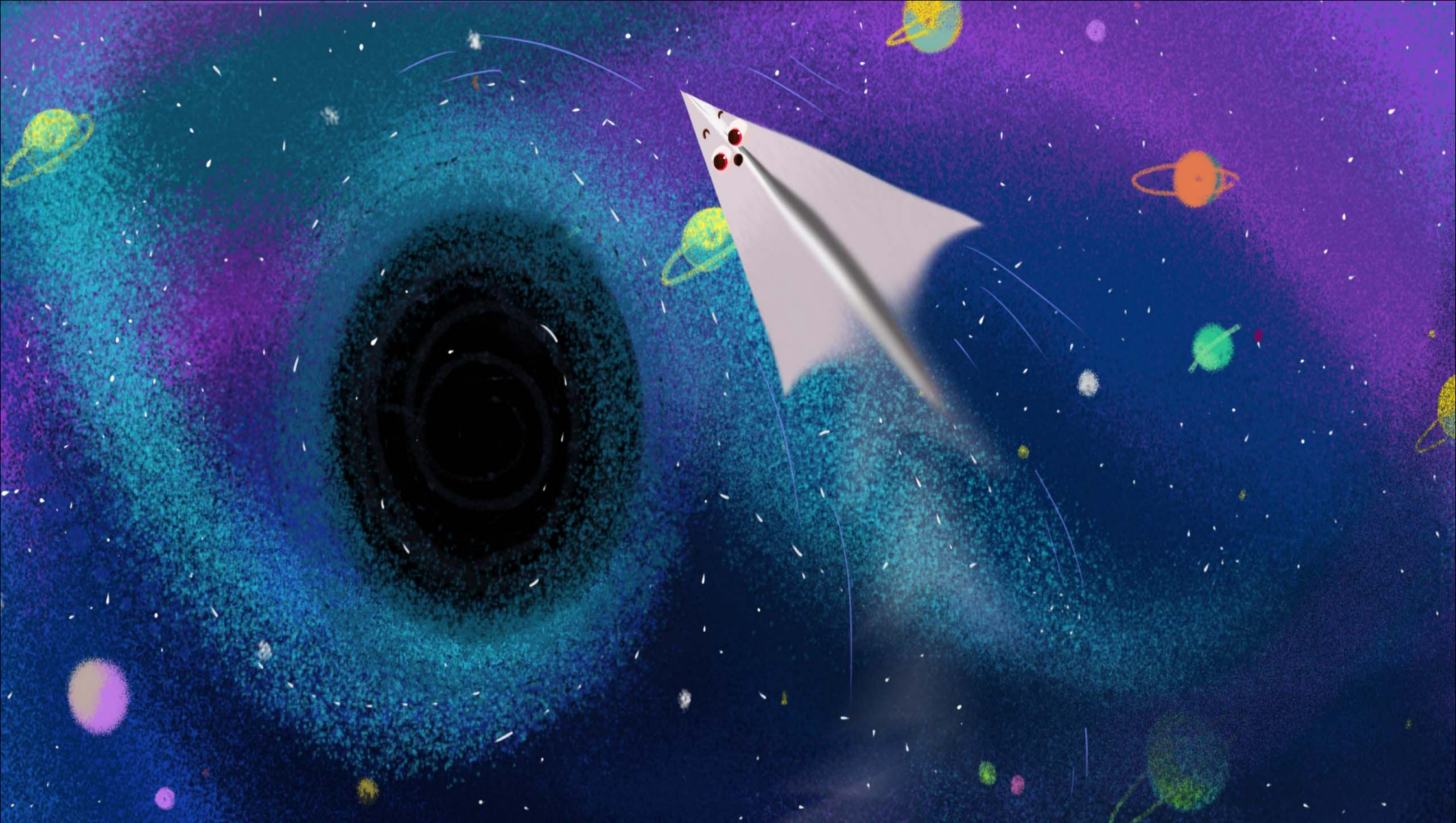
مَطَّ كِتَابُ الْجُزْءِ الثَّانِي لِلْفِيزِيَاءِ ذِرَاعِيهِ، وَهُوَ يَتَشَاءِبُ، وَأَكْمَلَ:
"كَيْفَ سَتَضْمَنُونَ أَنَّهَا سَتَعُودُ عِشْرِينَ سَنَةً فَقَطُّ،
وَلَيْسَ سِتِّينَ مِليونَ سَنَةٍ مَثَلًا؟".

تَبَادَلَ الْجَمِيعُ النَّظَرَاتِ بِحَيْرَةٍ. قَالَتِ الْوَرَقَةُ:
"يَبْدُو أَنَّ سَفْرِي إِلَى الْكَاتِبِ ضَرَبٌ مِنَ الْجُنُونِ".
رَبَّتَ الْكِتَابُ عَلَيْهَا قَائِلًا: "لَا! لَيْسَ جُنُونًا،
لَكِنِّي سَأَقْتَرِحُ عَلَيْكَ أَمْرًا آخَرَ".
انْفَرَجَتْ أَسَارِيرُ الْوَرَقَةِ؛ فَتَابَعَ يَقُولُ:



"سَتَذْهَبِينَ إِلَى الثُّقْبِ الْأَسْوَدِ، وَلَكِنْ لَا تَعْبُرِيهِ، بَلْ دُورِي حَوْلَهُ فَقَطْ، ثُمَّ ارْجِعِي."
عَلَّتِ الدَّهْشَةُ كِتَابَ الْجُغْرَافِيَا، فَقَالَ: "وَمَاذَا سَتَسْتَفِيدُ مِنْ ذَلِكَ؟!". قَالَ عِنْدَهَا الْكِتَابُ:
"بَعْدَمَا تَصِلُ إِلَى هُنَاكَ، سَأُخْبِرُكُمْ عَمَّا سَيَحْدُثُ!". وَثِقَتِ الْوَرَقَةُ بِالْكِتَابِ،
فَانْطَلَقَتْ كَالْبَرْقِ إِلَى أَقْرَبِ ثُقْبٍ أَسْوَدَ، بَعْدَمَا رَكَّبَتْ جِهَازَ اسْتِقْبَالٍ عَلَيْهَا.





دَارَتْ وَدَارَتْ. ثُمَّ نَادَتْ: "هَلْ تَسْمَعُووونَنِي؟ حَوَّوُولْ!". وَبِصُعُوبَةٍ التَّقَطَّ الْكِتَابُ إِشَارَتَهَا، وَقَالَ:
"أَسْمَعْكَ بِوُضُوحٍ، حَوَّولْ!". صَاحَتِ الْوَرَقَةُ: "الثُّقْبُ الْأَسْوَدُ يَجْعَلُنِي أَدُووورُ بِسُرْرَرْعَةٍ جُنُووونِيَّيَّةٍ!".



هَتَفَ الْكِتَابُ: "جَمِيلٌ! هَذَا مَا نُرِيدُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ. سُرْعَةٌ جُنُونِيَّةٌ تَعْنِي زَمَنًا قَصِيرًا جِدًّا جِدًّا، وَبِالنَّسْبَةِ لَنَا، الزَّمَنُ عِنْدَ الْوَرَقَةِ يَنْقُصُ بَدَلُ أَنْ يَزْدَادَ كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ وَدَارَتْ". أَضَافَ كِتَابُ الْفِيزِيَاءِ: "تَمَامًا، فَالسُّرْعَةُ تَتَنَاسَبُ عَكْسِيًّا مَعَ الزَّمَنِ". رَصَدَ الْجَمِيعُ الزَّمَنَ الَّذِي تَسْتَغْرِقُهُ الْوَرَقَةُ هُنَاكَ، وَصَاحُوا: "مَضَى عَلَيْكَ بِالنَّسْبَةِ لَنَا سَاعَةٌ، وَالْآنَ دَقِيقَةٌ، ثَانِيَةٌ. مَا هَذَا؟!".

[illegible]

"الْمَدِينَةُ اخْتَلَفَتْ! هَلْ عُدْتُ إِلَى زَمَنِ الْكَاتِبِ فِعْلًا؟!". لَمْ يَكُنْ إِجَادُ عُنْوَانِ الْكَاتِبِ سَهْلًا،
فَاسْتَدَلَّتْ عَلَيْهِ بِصُعُوبَةٍ، وَأَنْسَابَتْ مِنَ النَّافِذَةِ. "يَبْدُو أَنَّي عُدْتُ بِالزَّمَنِ فِعْلًا!".



كَانَ الْكَاتِبُ قَدْ أَهَى كِتَابَةَ الْكِتَابِ لِلتَّو. ثُمَّ رَاحَ يُفَكِّرُ، وَيُفَكِّرُ؛ لِمَنْ يُهْدِي الْكِتَابَ؟



فَجَاءَ حَطَّتْ وَرَقَةُ الشُّكْرِ عَلَى مَكْتَبِهِ. عَلَتِ الدَّهْشَةُ وَجْهَهُ،
عِنْدَمَا رَأَى الْوَرَقَةَ، ثُمَّ ابْتَسَمَ، وَكَتَبَ شَيْئًا مَا فِي بَدَايَةِ الْكِتَابِ.

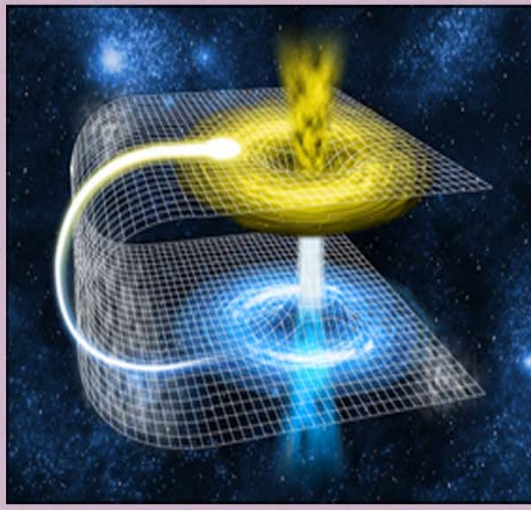


إِسْتَيْقَظَتْ نُورٌ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، وَبَحَثَتْ بَيْنَ صَفْحَاتِ الْكِتَابِ عَنْ وَرَقَتِهَا فَلَمْ تَجِدْهَا، ثُمَّ تَذَكَّرَتْ أَنَّهَا لَمْ تَقْرَأْ بَعْدُ صَفْحَةَ الْإِهْدَاءِ، فَفَتَحَتِ الصَّفْحَةَ الْأُولَى، وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا عَنْ آخِرِهِمَا، وَقَالَتْ: "غَيْرُ مَعْقُولٍ!".



إِلَى مَنْ أَسْعَدَهَا كِتَابِي،
وَأَنْتَ وَخَدَّتْهَا،
وَرَأَفَقَهَا حَتَّى تَعَافَتْ،
إِلَى نَوْرٍ.





يَرَى الْعُلَمَاءُ الْيَوْمَ بِفَضْلِ نَظَرِيَّاتِ (آَيْنَسْتَاين) أَنَّ الزَّمْنَ هُوَ جُزْءٌ مِنْ نَسِيجِ الْكَوْنِ، مُلْتَحِمٌ بِالْمَكَانِ وَلَا يُمَكِّنُ فَضْلُهُ عَنْهُ، وَأَنَّ الْأَبْعَادَ الْأَرْبَعَةَ (أَبْعَادَ الْمَكَانِ الثَّلَاثَةِ، أَيْ الطُّولِ وَالْعَرْضِ وَالْإِرْتِفَاعِ، إِضَافَةً إِلَى بُعْدِ الزَّمَنِ) تُكَوِّنُ مَعًا عَالَمَنَا الَّذِي نَعْرِفُهُ. كَمَا أَنَّ الْبُعْدَ الرَّابِعَ (الزَّمْنَ) لَا يَنْعَدِمُ كَمَا نَتَخَيَّلُ بِمُجَرَّدِ مُرُورِنَا بِهِ، أَيْ إِنَّ الثَّلَحَظَاتِ الَّتِي مَرَرْنَا بِهَا لَمْ تُصْبِحْ مُجَرَّدَ "ذِكْرِيَّاتٍ" مُنْطَبِعَةٍ فِي أَذْهَانِنَا وَلَمْ يَنْقُصِ وُجُودُهَا الْوَاقِعِيُّ، بَلْ هِيَ عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا لَا تَزَالُ تَحْتَفِظُ بِوُجُودِهَا الْفِيْزِيَّائِيِّ الْوَاقِعِيِّ. وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ عَقْلَنَا لَمْ يَعُدْ يُدْرِكُهَا لِأَنَّهُ غَيْرُ مُعَدٍّ لِذَلِكَ.



وَيُقَدِّمُ عَالِمُ الْكَوْنِيَّاتِ الْإِنْجِلِيزِيُّ الشَّهِيرُ (سْتِيفِنْ هُوكِينْغ) نَظْرِيَّةً لِلْسَّفَرِ عَبْرَ الزَّمَنِ؛ وَهِيَ اسْتِغْلَالُ ظَاهِرَةِ الثُّقُوبِ السَّودَاءِ: (مَسَاحَةٌ فِي الْفَضَاءِ الْخَارِجِيِّ تَنْشَأُ عَنْ انفجارِ نَجْمٍ ضَخْمٍ، وَتَتَمَتَّعُ بِجَاذِبِيَّةٍ فَائِقَةٍ، بِحَيْثُ يَسْقُطُ فِيهَا كُلُّ جِسْمٍ أَوْ إِشْعَاعٍ يَقْتَرِبُ مِنْهَا، وَيَنْعَدِمُ حَجْمُهُ لِيُساوِيَ الصَّفْرَ تَقْرِيْبًا)، يَقُولُ (هُوكِينْغ) إِنَّ إِرْسَالَ سَفِينَةٍ فُضَاءٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى أَحَدِ أَقْرَبِ تِلْكَ الثُّقُوبِ إِلَيْنَا وَالِدَّوْرَانِ حَوْلَهُ، يُؤَدِّي إِلَى تَبَاطُؤِ الزَّمَنِ لِلرُّوَادِ عَلَى مَتْنِهَا نِسْبَةً إِلَى سُكَّانِ الْأَرْضِ.



الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَأَنْزَلَ فِيهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

